Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصــر
إشـــبيلية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بــــــــدرو : بعد قليل تبدأ الأزهار تفوح ، بيد أنى سأكون تحت الثرى . بعد قليل ستزهر الورود . . . ربما تكون هى الورود ذاتها التى رأتنا نصل إلى هنا منذ خمس عشرة سنة ، عندما لم يكد يتم أحد منا – نحن الاثنين – عشرين ربيعا ». . لعلها الورود ذاتها التى رافقتك إلى حيث أنت الآن : إلى هذا المكان الذى سكت فيه عن الكلام ثمانى حجج . . . سيزدهر البستان عما قليل ، لكن ليس لأجلى ؛ لأننى سأذهب باحثا عنك ، تاركا الزهور والورود إلى الضفة الأخرى من الربيع . . . فى ليون اكتشفت عينيك الواسعتين . قبلتهما لأول مرة فى ساهاجون ، وفى قرطبة أطبقتهما قائلة لى . .

مــــــاريا : إنها بُنَيَّةٌ يا بدرو . ماذا سيكون مصيرها ؟

شــــــاب : ستكون ملكة على عرش عظيم مثلك يا ماريا .

مــــــاريا : فليجعلها الله على ضرب آخر . . . لأننى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمام الملأ لست سوى حظية الملك .

شـــــاب : سـيحين الأوان الذى تنصـبين فـيـه ملكة الملك .

بـــــدرو : جعلت الحرب كل شىء ضد حبنا ، أمى ، والنبلاء والمشير البوركيركى وقلق إخوتى ، النغلاء ، والجـوار مع فـرنسـا . . . لقـد زوجـونى بالقـوة ببـلانكادى بوربون . . . كـانت ابنتنا بيـاتريس لا تكاد تتم ثلاثة أشهر ، وكنت أحث الخطى نحو بلد الوليد والغـبـار – أو لم يكن الغـبـار – يحـرق فى عينى . أما أنت فقد بقيت فى مونتلبان مع الصغيرة بين ذراعيك .

مــــاريـا : الآن عرفت حظ حظية الملك دائما .

شـــــاب : (فى ارتجافة) سيحين الأوان الذى تنصبين فيه زوجتى .

بـــــدرو :كان شيئا كالمزاح . . . زوجونى ببلانكا دى بوربون . لم أقل أنا ولا أحـد غـيـرى إننى كنت متزوجا . . كنت جبانا . كنت جبانا معك إلى حـد كبير يا ماريا دى باديا . ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشتكيت أبدا ، لقد عرفت كيف تنتزعين البسمة من خلال الأسى . . جعلت الحرب كل شيء ضد حبنا ، إننى كنت الأول يا ماريا . . . لن يتأخر الربيع كثيرا . لكن لن يعنينى ذلك . فاليوم أودع إلى الأبد هاته الحجرات ، مخدعنا ، العارى مثل الأثاث مثل فؤادى . . . أودع هاته الغرف حيث حاولنا بالقوة أن نكون سعداء : يافعين تماما ، ووحيدين تماما . . لقد هويتك أكثر من أى شيء آخر فى هذا العالم . مثلما هويت قشتالة . . وبعد الحب ، ما يبغيه المحب هو أن يشهر حبه ، لكن لم يكن ممكنا . إن حبك وسره الذى اكتنفه كانا يعذباننى مثل قشتالة . . زوجونى بالقوة ببلانكا دى بوربون بينما كنت أقول : نعم فى عقد القران ، كنت أفكر فى عينيك . الفاجرون الكبار انريكى تراستمارا ، وفدريك رئيس الرهبانية الحربية فى شانت ياقب كانوا يبتسمون ، هذا المساء قد وقفت على السبب . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشاعر الجوال : يقول الناس دون أن يعرفوا الحقيقة .
إن الملكة حبلى
من الرئيس الحربى لرهبانية شانت ياقب
دون فديريك دى قشتالة .
وآخرون يقولون إنها نفساء .

بلانكا : آه ! من حظ الملكة السيء
أسوأ من أخريات زوجونى بالملك
لأجل كارثتى
فى ليلة زفافى
لم أر ليلة تماثلها .

بدرو : أى حقد يكنه أولئك الفاجرون ! لقد سلب منى انريكى عندما أتم خمس عشرة سنة خطيبتى الأولى . خوان مانويل فى هذا القصر وفديريك حينما كان يصحب من فرنسا الأميرة ، بلانكا هتك عرضها . . . إننى أشكره على نحو ما : ففي اليوم الثانى من الزواج كنت بين ذراعى . لكن سلامنا لم يتم عاما واحدا . هنا .يودع أحدنا الآخر .

ماريا : إن قشتالة تصيبنى بالسأم . لست أريد أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أظل بينك وبين قشتالة . فأمام أعين الناس بلانكا هى زوجتك .

شـــــاب : لكنك زوجتى أمام الله .

مــــاريا : إن الله قد حوّل عينه عنى . . . فلننفصل يابدرو، سأدع القصر : هذا الهواء ، ووخامته ، هذا العبق الدائم الذى يفوح برائحة الزهر ، وهذا الظمأ الخالد . .

شـــــاب : إننى أحبك ياماريا وأنت تحبيننى .

مــــاريا : الملوك لديهم مشاغل جمة . قشتالة حانقة بسببى . إنك تخيب أملها ، فارجع إليها .

شـــــاب : وأنت ؟

مــــاريا : سأختفى . فى دير أستوديو ثمة مكان شاغر ومن هناك سأشاهد الأرض جرداء وهو منظر كدت أنساه . . لحب كبير مثل حبنا تكفى سنتان . . (يرتجف صوتها) لقد أراد الله أن تعرف قشتالة الدم الذى تجشمته . . لا تقترب منى . . وداعا . . لا . لا تقترب شفقة وإلا فلا أقوى على المضى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وداعاً ها لن يعرف أحد أننى كنت زوجتك الحقيقية .

بـــــــدرو : قبلت مرة أخرى تضحيتك ، لأن القسم الفاسد من قشتالة يحتم ذلك . لكن إلى بلانكا دى بوربون لن أستطيع العودة ، البوركيركى وأعداؤه الفجار تحالفوا ضدى . لقد تجمعا حول بلانكا . وكان اسمها مجرد تعلة ، ما كانوا يبغونه هو السلطة التى كنت منحتها إلي أقربائك ، مريدا بذلك كشف لعبتهم القذرة : أعلن أساقفة شلمنقة وأبيله أن زواجى ببلانكا باطل ، فاخترت زوجا أخرى هى خوانا دى كاسترو ابنة خالتى كانوا يلقبونها « الجميلة » كانت أخت إنيس دى كاسترو التى عذبت كثيرا عمى بدرو دى برتغال : إنيس كاسترو التى شابهت حياتها كثيرا حياتك أنت . . فى ذلك الشهر مايو ، ولم يكن مايو بالنسبة لى تزوجت فى كويار وعند عتبة باب الكنيسة تركت قلبى كأنه شىء زائد . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعـد بضع سـاعـات ، ووشـيكا أنبـأنى جوتيرث دى ثيبايوا أنه مسار تاريخى فى طريقـه إلى تغـيـير ، ففى ريبـاد يكايا تآمـر الفـاجرون ، وحـاجبى القديم ، وكثيرون من النبـلاء والمتظاهرون بصـداقـتى ، وإخـوة زوجتى الجـديدة أنفسـهم على اجـتـيـاح قـشـتـالة وعلى خلعى ، وأولئك الذين أسديت إليهم من الفضل لكى تهدأ المملكة قـد باعونى . إنـهم ناسك المأسـورون . وأنت مـهـجـورة ووحـيـدة ، رفـضك كـان دون جدوى . قبض الريح أساك وندامتى . . . دون قناع يتـواجـه الطمـوح والحب ! لقـد كنت الملك ، وكنت أهواك . . . تركت خوانا دى كاسترو متزوجة أو لأنها زوجة وعلى حـافـر الخيل مـسـرعـا ذهبت أبحث عنك .

شـــــاب : مـا يجـمـعـه الرب لن يـفـرقـه الإنسـان . أنا وأنت إلى الأبد ، والآن سوف تدرى قشتالة – بالقوة – من الملك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــــدرو : اليوم أنا أودع القصر هذا ، لا أميز مسافاته
بدونك . عما قليل سيفوح العبق فى فراغ :
لا أنت ولا أنا سوف نحس بعبقه السكران
الخفى . . . إننى أودع اليوم المكان الذى
كنت أؤوب إليه بعد المعارك . ذلك المكان
الذى كنت تعزيننى فيه عن عداوات قشتالة ،
ذاك المكان الذى كنت تنسيننى فيه أسماء
هاتيك النساء العابرات وببسماتك كنت
تقصينهن عنى ، ياصاحبتى ماريا دى باديّا
واليوم ملولاً مكروباً ، أنثر ذكرياتى ؛ لأنها
كلها تكرب حاشا ما تشاركيننى منها . . .
ياله من نفق فظ ، ياله من نفق طويل . أنظر
فيما حولى فلا أرى سوى خيانات ، حتى
أمى خانتنى . . بكسرة من الخبزتحملها
إصبعاى كنت أستطيع أن أشبع كل رجالى
الأوفياء فى قشتالة . . آه . حزين ، حزين ،
فظيع ومحزن أن تكون ملكا لأنك ولدت
ملكا ، وأن تقيم العدالة دون أن تدرى أين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هى ، وأن تعتبر أعداء المملكة أعداء لك .
.. وأن تكابد دائما الهواجس فى أن تدع كل شىء ، وأن تستسلم ، وأن تترك كل شىء ، وأن يقصى عن الرأس العرش الخانق ، أن تخلد إلى الراحة فى أحضان من تحب . . كم هو قاس ومعتم ذلك النفق ، مصير الكبار ، لأن عليهم أن يكونوا كبارا فوق كل شىء ، لأن الصغار يريغون منهم تلك العظمة . . ، خلال أعوام كثيرة كل شىء كان مرجل غدر . . حرب فى قشتالة ، جرب مع أراجون . قيد اسمى خارجا عن الكنيسة ، استدعى الأجانب لحل نزاعات عائلية . آه . حزين ، حزين . . . تراتامارا ، العاهر يتطلع إلى عرش أسلافى ، يهدهد راشيا النبلاء الذين يرون فىّ سوطهم لأن سلطانى كان عليه أن ينتزعنى من عينيك ياماريا ، وأن أحكم . . أمامى ، ليس إلا مواطنون دون مدلول للطبقة ولا للغنى : النبلاء والشعب : الكل سواء دون مدلول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دينى ، مسلمون يهود ، نصارى . . .
كلهم يصنعون المملكة . . محو الامتيازات
المساواة ، المساواة ، إزاحة القناع عما
يختفى وراء الشفقة الزائفة ، والحماسة
الكاذبة . . حزين حزين . . . إننى أرغمت
سدى أن أصنع بالرحمة ما يجب صنعه
بالحديد . وأن أصل إلى النتيجة هى أننى
علىّ – فى قشتالة – أن أراوح بين الاستبداد
والفوضى . خداعات ، تزييفات شبكة من
الشكوك حول النفس ، لقد علمونى الحقد .
آه حزين حزين . عما قليل ستبث أشجار
البرتقال عبيرها بيد أنى لن أراه ، فى النهاية
سأغمض عينى عن هذا العالم الذى ما
فهمته جيدا . . .

أرجوحة من الخيانات وضعت العاهر
فديريك إلى جانبى – ظاهرياً فقط – ضد
أخيه انريكى الذى تحالفه أراجون كنا فى
هدنة ، نتكلف سعادة ما شعرت بها ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استولى فديريك علي خوميّا باسمى ، ممزقا
بذلك الهدنة . . وكنت أنا قد شتتّ
جيوشى . . . استدعيته إلى القصر . .
كان ينبغى الانتهاء . . وفى هاته القاعة
وثقت فى حكم ابن عمى أمير أراجون . .
وأنت ياماريا ، فى هذه القاعة رأيت عينيك
الجميلتين مغرورقتين بالدموع . كنت أعبد
عينيك . . والأمير بعد عشر حجج تلقّى ما
يستحقه ، عرض أن يقتل بيديه فديريك .
. كأنه لا يوجد جنود . حزين جد حزين .
. . كنت ألعب هاته الليلة الدامة وصل
فديريك فى صحبة أخيك رئيس رهبانية
قلعة رباح المسلحة ، كان الاثنان ينكتان .
وأنا أمرت صاحب الصولجان . . .

شـــــاب : لكن يالوبث . اقبض على رئيس الرهبانية .

لـــوبـــث : أيهما ياسيدى ، صاحب سانت ياقب أم صاحب قلعة رباح ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شـــــاب : صــــاحب سـانت يـــاقب ، الأخ رئيس الرهبانية . من الحتم أن . .

بــــــدور : كــان فـديريك ينظر إليّ ، فـأطلق منى ، ودافع عن نفسه ، لكن ذباب سيفه اشتبك فى دثار رهبانيته الفضفاض . .

شـــــاب : اجهزوا وانجزوا !

بــــــدرو : كان يتفادى الطعنات ، ويتجنب الضربات ، إلى أن طرحه أرضا أحد المسددين . . كان يسمع نشيجك بينما كانت فراشة ليلية تلوب بين شظايا الخشب ، وكـانت الورود فاغمة . كان الجو حارا . . وكان فديريك يتــململ . . رأيت بركــة دمــه ، من دمى تنمــو فوق المرمــر .. حـزين حـزين دون أن أودعك لئلا أنظر فى عينيك ، ركبت فرسى ، وهجرت أشبيليه . . كـانت أشجار البرتقال آنئـذ تفـوح . . وسـوف تفـوح أيضـا . . لكنى سـأذهـب للبـحث عنك وراء عـرف البرتقـال والزهور فى ضفـة الربيع الأخرى ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لماذا صنعت هذا ياماريادى باديا . كنت ذات خمس وعشرين سنة فقط ، كنت رقيقة وعذبة ، كانت عيناك تضحكان قبل أن يضحك ثغرك ، كانتا تهدهدان رأسى مثل طفل صغير ، وقد نسيت الدم الذى كان ينزف من الجرح ، الأحلام الرديئة ، الكوابيس التى كانت تغمر ليالى مخاوفى . . . إنك كنت شطر روحى ، الشطر الأحب من روحى ، لماذا فعلت هذا ؟ قولى لى . ذات يوم من شهر يونيو استلقيت فى فراشك ، شاحبة ، مرتجفة . . .

ماريا : فليفتحوا الباب فالجو حار .

بدرو : كان الباب مفتوحا . .

ماريا : لا شيء يرى ، لقد اكفهر الجو بسرعة .

بدرو : كانت السماء صافية ، وشمس الظهيرة تتسلل ، وعبق الورود الفاغم .

ماريا : لا شيء يرى . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــدرو : كنت أنظر إلى عينيك ، عينيك الجميلتين ، كانتا طائرين أجنحتهما مفزعة .

شـــاب : ماريا .

بـــدرو : لم تسمعيني .

مـــاريا : دائما كنت أحبك ، وإلى الأبد سأحبك .

شـــاب : لا . من الضروري أن يعرف الجميع أنك زوجتي . انتظري ، لا . من الحتم أن تعرف قشتالة من هي ملكتها .. اسمعوا اسمعوا . ماريا دي باديا هي ملكتكم ، وابنها ألفونسو هو ولي العهد ، وبناتها هن أميرات قشتالة . . (في نشيج) ماريا هي ملكتكم ...

بـــدرو : لم تسمعني أبدا ماريا دي باديا ، كنت ميتة ، لماذا صنعت هذا ، لماذا ؟ لقد جمعت مجالس عامة لأعلن في جلال أمام الدول الثلاث أن زوجتي الوحيدة كنت أنت ، وناديت شهود العقد الشرعي أن يذكروا أنني اقترنت بك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبايع مجلس البلاط ابنك – ولم يكن أتم
عامين – وليا شرعيا لعرش قشتالة . . لم
تكونى أمام أحد حظية الملك كان اسمك
مكتوبا فى القائمة المذهبة للملكات ،
وابنتك بياتريس ستكون أيضا ملكة على
عرش عظيم ، هل تذكرين ؟ من البرتغال :
أمرت أن يحضروا جسدك فى موكب وأن
يكون القداس مما يكون للعاهلات دفنت
فى مقبرة الملوك فى الكنيسة الكبرى ،
وأدى كاهن طليطلة طقوس جنازتك ، وقد
جثا النبلاء أمامك . . متأخرا ، متأخرا ،
جد متأخر . آه ، متأخرا جدا . . منذ
وفاتك ، وكل شيء ردئ : كأنك لا
تريدين قبول التكريم . . . حرب مع
أراجون . حرب مع الفاجر ، دم ، مرة أخرى
دم ، موت ولدنا ، لماذا ؟ لم تقبلى أن
تدعيه فى قشتالة . . . والبرتغال ، عادت
بياتريس عازبة حين رأت كوارث جمة .
إننى وحيد ياماريا ، لقد تركونى وحيدا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تماما ، احتل انريكى تراتامارا مملكتى . لوجرونيو ، سالفاتيرا ، بيتوريا ، واضح أننى لا أستطيع الدفاع عنها ، ويطلبون منى أن أسلم نابارًا ، لقد أعطيت أوامرى — فى حالة الاضطرار إلى الاستسلام — أن يسلموها إلى الفاجر : قشتاله ، ليكن من يكون ملكها — لا يجب أن تتشعث . .

اليوم أودع إلى الأبد هاته الغرف . . . ولتبق بناتنا محصنات فى قرمونة ، وأبنائى الذين رغبت فيهم ، لأرى إذا ما كانت الحياة متمسكة بى بعد أن رحلت أنت سأرحل إلى طليطلة إلى معركتى الأخيرة ، أدرى أننى سأموت لكن هذا لا يعنينى ، أدرى أن أخى انريكى سيقتلنى ، وسيقبض على عنان قشتاله ، حسنا ، حسنا ، حسنا إننى مجهد : ورجل مجهد لن يكون على الإطلاق ملكا صالحا . . أفكر فى أن السيف يشحذ لأصرع هنا . مرحبا ، وأهلا ، دم بدم ، وراحة فيما بعد ؛ هذا كل ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبغيه . . أطأ هاته الرخامات التى شاهدتنى معك ، أبارك هاته البلاطات ، وتلك الفنون . أبارك شمس فبراير . . أدع حبى هنا ، حيث عما قليل – ودون خلاف – تشرع أشجار البرتقال تفغم . . وداعا ، أيها القصر حيث استقرت فيه حياتى – فى عذوبة – ، أيتها الأبعاد التى سمعتنى أضحك ، أيتها المياه ، الفوارة ، الرقيقة ، أيتها الأشجار الأشجار العوالى التي ستظل تورق زمنا طويلا . بعد قرون حين يجىء أناس آخرون يزورون هذا القصر ، يعرفون قصة حبى الحزينة . ، وداعا ، أيتها الجدران التى ضمتنى منذ أن كنت طفلا مثل طائر يتيم . . . إلى اللقاء الوشيك ياماريا دى باديا ، يا رفيقتى ، إلى اللقاء الوشيك جدا ، لأننى سأبحث عنك – فى عنف – بأسنانى وأظفارى ، بشهوات رجل حديث الزواج ، فى أى مكان تكونين فيـه ، تحت زهور البرتقال ، وتحت الورود ، فى الضفة الأخرى من الربيع .